بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بيان وتوضيح
لما ذكره الشيخ عبد المجيد جمعة ـ وفقه الله ـ
حول جلسة عبد المالك بدار الفضيلة وما تعلَّق بها

الحمد لله ربِّ العالمين وليُّ الصَّالحين، ولا عدوان إلا على الظَّالمين؛ وبعد

لقد قرأتُ كما قرأَ غيري ما سطَّرته يمينُ الشَّيخ عبد المجيد جمعة ـ وفَّقه الله ـ في الحلقَة الثَّالثة مِن مقَاله الموسُوم بـ«الجواب عن الجواب وردْع الطَّعَّان العيَّاب» حول الجلسَة الَّتي انعقَدت بدَار الفَضيلة مع عبد المالك رمضاني يوم الإثنين ٢٦ جمادى الأولى ١٤٣٦هـ الموافق لـ ١٦ مارس ٢٠١٥م، وقَد ذكر أشياء ليسَت مطابقةً للواقع؛ فاقتضَى المقامُ أن أكتُب هذا التَّوضيح لبيَان مُلابسَات هذه الجلسَة حتَّى يكونَ الأمر مُصَوَّرًا كما وقَع، لتُدفع بذلكَ التَّوهُّمات الحاصلة، والتَّأويلاتُ الخاطئَة؛ فأقُول وبالله أستَعين:

ـ قَول الشَّيخ جمعَة: «**أنَّه انعقد لقاء بعض أعضاء جماعة الإصلاح مع عبد المالك رمضاني في دار الفَضيلة سرًّا، ودونَ علم بقية الأعضاء**».

لم يكن هذَا اللِّقاء سرًّا أبدًا، بل كانَ معلومًا لدَى الجميع أنَّنا وددنا اللِّقاءَ بعبد المالك رمضاني في رمضَان سنة ١٤٣٢هـ في المدينة أو في مكَّة؛ لكن لم يتيَّسر ذلكَ، وراسلناه برسالة موقَّعةٍ باسم جميع المشايخ مؤرَّخة في ٢٥ رمضان ١٤٣٢ هـ الموافق لـ ٢٥ أوت ٢٠١١ م[1]، وحملَت الرِّسالةُ اقتراحَ اللِّقاء به في الجزائر فيما يُستقبَل من أيَّام، وأنَّنا مستعدُّون لتحمُّل أعبَاء وتكاليف السَّفَر، إلَّا أنَّ ذلكَ لم يقَع، حتَّى جاءت الفُرصَة بعد سنواتٍ وكانَ الواسطة الدُّكتور فريد عزوق، وكنتُ قَد أخبَرتُ المشايخَ بالاقتراح قبلَ المجلس بأيَّام في جلسَة منَ الجلسَات العامَّة المعقُودة بالدَّار، وكان ذلك يوم السبت ١٦/ ٥/ ١٤٣٦هـ الموافق لـ ٧/ ٣/ ٢٠١٥م بدَليل أنِّي لَمَّا ذكرتُ ذلكَ للمشَايخ بادرني الشَّيخ أزهَر، بقَوله: «إنَّه لن يجلسَ معكُم»؛ وذلك لأنَّه أُخبِر مِن بعض أقاربِه: أنَّ عبد المالك سيَرجعُ إلى المدينَة

(١) انظر نصَّ الرِّسالة في المرفق.

وسيُسَافر بعدَ غدٍ؛ فلا أمَل في اللِّقاءِ به.

وانفصلنَا على هذا الخبَر؛ إلَّا أنَّه لَمَّا حلَّ يومُ اللِّقاء الموعُود به فاجأني الواسطةُ بتأكيد الموعد، فاتَّصلتُ بالشَّيخ عبد الغَني ـ وهو مَن كان يرأسُ اجتماعات المشايخ يومَها ـ لأُخبرَه بأمر اللِّقاء، فاعتَذر عن الحضُور ولم ير مانعًا منَ الجلوس معَه.

فلا أدري ما وجهُ قول الشَّيخ جمعة: «**إنَّ الجلسةَ كانت سرًّا، ودونَ علم بقيَّة الأعضَاء**» !!

وقَد حضَرها كلٌّ منَ الشَّيخ عزِّ الدِّين رمضاني، والشَّيخ رضا بوشامة، والشَّيخ عثمان عيسي، وأنا، وحضر عبد المالك رمضَاني، وحضر أيضًا الدُّكتور فريد عزُّوق.

ـ قوله: «**وذلك؛ لأنَّ عبد المالك اشترط عليهم ألاّ يجلس مع جماعة الإصلاح بحضور الأربعة: الشيخ فركوس، والشيخ عبد الغني، والشيخ لزهر، وعبد المجيد؛ وصرَّح بهذا فقال: أنا مادام هؤلاء الأربعَة موجُودون فلا أجلس، فوافقُوا على ذلكَ ـ للأسف ـ، ولبَّوا شرطَه، وجلسُوا معَه**»

كيف علمتَ ذلك يا شيخ عبد المجيد !! ونحنُ لم نسمَع منه هذَا الشَّرط، وهو نفسُه جاء إلى دار الفَضيلة ويعلمُ يقينًا أنَّها تضُمُّ جميعَ المشايخ دونَ استثناء، ويُمكنُ للجَميع أن يحضُر ويجلسَ معَه.

ونحنُ ارتأينا أن نجلسَ معَه؛ لأنَّه ليس مِن شرط النَّصيحة والمُحاوَرة أن نجلسَ جميعًا معَ المنصوح، فكَم مِن شخص أرادَ المشايخُ نصحَه فيما سَبق، فلم يزيدُوا على تفويض أحدِنا أو بعضٍ منَّا للجُلوس معه دونَ الآخَرين؛ ولم يحصُل يومًا أن اتَّهم بعضُنا بعضًا، أو شكَّك فيما حصَل في إحدَى تلكَ الجلسَات أو في محتوى تلكَ المناصحَات، لثقَة بعضِنا في بعض وسَلامة صدُورنا، وكنَّا نحسبُ أنَّنا جميعًا شيءٌ واحد، ولله الحمد.

ـ قوله: «**أُنكر عليهم هذا المجلس الخفي، واستجابتهم لشرط عبد المالك، وطُلِب منهم تقرير عمَّا دار في المجلس، فلم يقدِّموا أيَّ شيء، ولم يفصحوا عن شيء إلا ما نُسب إلى عبد المالك أنَّه قال: الشيخ ربيع كذَّاب، والشيخ عبيد مافيَا**»

لا أدري ما سبَبُ إصرار الشَّيخ عبد المجيد على وصف المجلس بالخفيِّ، مع أنَّه لو أُريد للمَجلس أن يكونَ خفيًّا لعُقد في مكانٍ آخَر غير دار الفَضيلة، ليكونَ أبعَد عن الأعيُن والأسمَاع وأشَدَّ في التَّكتُّم؛ لكن لم يكُن ذلكَ مقصد المشَايخ، ولم يدُر في أذهانِهم يومًا مثلُ هذَا التَّفكير البَعيد عن دعوتنَا الصَّريحة

الواضحَة؛ فكانَ المقصُود الأوَّلُ: هُو الجلوس مع الرَّجُل لنسمَع منهُ عن قُرب ويسمَع منَّا ما كنَّا نودُّ نُصحَه به، فإنَّ له حقًّا علينا وهُو بذلُ النَّصيحَة؛ والمقصد الثَّاني: أن نقطَع ما كانَ يتحجَّجُ به بعضُ المتردِّدين في أمره آنذاك مِن أنَّ مشايخَ الإصلاح لم يعطُوه فرصةً للجُلوس معَه ونُصحِه، فجاء هذا اللِّقاءُ ليَقطَع دابر هذه الحجَّة ويُسْكتَ تلكَ الأفواه.

فتمَّ اللِّقاءُ على هذَا الحال، وفي أوَّل جلسَة مع المشايخ أعقبَت هذَا اللِّقاء، وقد حضرها جميعُهم والَّتي كانت بتاريخ: يوم السبت ٢٠/ ٦/ ١٤٣٦هـ الموافق لـ ٩/ ٥/ ٢٠١٥م ذكر الشَّيخ عزُّ الدِّين خلاصَةً عن ملابساتِ تلك الجلسَة وما دار فيها، وممَّا قَاله: «إنَّ عبد المالك لم يعُد هُو عبد المالك الَّذي نعرفُه، وصَار يسير في طريق غير الَّتي نحنُ عليهَا، وأنَّه لم يبقَ مجالٌ للتَّعامُل معَه، ولا أمَل في عودتِه معنَا إلَّا أن يشاءَ اللهُ تعَالى»، وجرى أثناءها حوارٌ مفيدٌ، ومنه اتِّفاقُ الجميع حول الموقف الصَّريح تُجاه عبد المالك رمضاني وهو التَّحذير منه وعدم النُّصح به.

فأيُّ تقرير يُرادُ بعد هذَا عن الجلسَة! ثمَّ كيفَ عُلم أنَّ عبد المالك يرمي الشَّيخ ربيع بالكذب، ويصفُ الشَّيخ عُبيد بالمافيا لو لم يُخبِر بذلكَ مَن حضَر اللِّقاء؛ فعَلى المرءِ أن يتكلَّم بعلم وعدْل، فقَولُك: «**فلم يُقدِّموا أيَّ شيءٍ**» نكرةٌ في سيَاق النَّفي وهي تفيد العُمومَ والشُّمول؛ وإنَّ مثلَ هذا التَّصريح فيه ما فيه؛ لأنَّ الشَّيخ عزَّ الدِّين قدَّم تقريرًا موجزًا يوم اجتماع المشايخ، وإنَّ الأمر المتيقَّن أنَّ الشَّيخ فركوس ـ حفظه الله ـ كان حاضرًا وسمعَ ما أسفَرت عنه الجلسة، حتَّى إنَّه صرَّح يومَها قائلا: إنَّ القضيَّةَ منتَهيةٌ.

ثمَّ إنَّ هاتين الكلمتَين هي أشدُّ ما تفوَّه بهما عبد المالك، فذكرُهما يُغني عن كلِّ كلام آخَر سُمع منه، والعَجيب أنَّه نفى عن نفسِه قولَ ذلك؛ فهل تُصدِّقنا أم تُصدِّقُه يا شيخ عبد المجيد؟ وأخشَى أنَّك لم تعُد تصدِّقُنا؛ لأنَّك قُلتَ: «**ولم يُفصحوا عن شيء إلا ما نُسِب إلى عبد المالك**» على صيغَة التَّمريض؛ نسألُ اللهَ أن يهدِيَنا جميعًا ويُصلحَ أحوالنَا.

ـ قوله: «**وبعد قرابة سنتَين من هذا اللِّقاء، وعدم إفصاح عمَّا جرى فيه، يخرج عبد المالك عن صمتِه في تسجيلين صوتيتين، يكشف فيهما عن بعض ما دار في لقائه بهم؛ فنفى ما نُسب إليه من تلك الكلمة المقولة، وأماط اللثام عن فحوى اللقاء، ويخلص في النقاط التالية**».

وهكَذا يُصرُّ الشَّيخ عبد المجيد ـ وفَّقه الله ـ على نفي الإفصَاح عن إخوانه عمَّا دار في الجلسَة، ويقُول: «**وبعد قُرابة سنتين من هذا اللقاء، وعدم إفصاح عمَّا جرى فيه**».

وهذا كلُّه بسبَب غياباته المتكرِّرة عن اللِّقاءات الدَّورية، وسُوء ظنِّه بإخوانه الَّذي علقَ بذهنِه، فصَارت كلُّ تصرُّفاتهم عندَه محلَّ تُهمة وريبَة، وهذَا الأمر منهُ مِن أعجَب ما تَرى وتسمَع؛ فإخوانُه الَّذين لا يخفَى على القَاصي والدَّاني دعوتُهم الصَّريحة إلى السَّلفيَّة منذُ زمن طويل، وقَد اجتَمع معَهُم على العلم والإيمان والدَّعوة إلى الله على منهَج السَّلف لم يختَلفوا معَه في أصل مِن أصُول هذه الدَّعوة المباركة، ولا في قاعدة مِن قواعِدها، ولا في مصدَر مِن مصَادر تلقِّي العلم؛ إلَّا أنَّه راحَ يشكِّكُ فيهم بسَبَب هذه الجلسَة، ويطعَنُ في قصُودهم ويغمزُ منهجَهُم، ويصفُهم أنَّهم أصحابَ منهَج الاحتوَاء؛ ويزعُم مزاعمَ خطيرةً منها أنَّهم تحالفُوا وتواطأُوا مع عبد المالك، وصاروا يلتقُون به باستمرَار لتَمييع الدَّعوة السَّلفيَّة في الجزَائر .. ونحو هذه الأوهام الَّتي ليسَ لها حقيقَةٌ إلَّا في ذهنِ الشَّيخ عبد المجيد، ومَن صدَّقَه؛ والله تعالى يقُول: ﴿**إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ**﴾، والنَّبيُّ ﷺ يقُول: «**إيَّاكُم والظَّنَّ؛ فإنَّ الظَّنَّ أكذَبُ الحديثِ**».

يا شيخ جمعَة ! إنَّ سُوءَ ظنِّك بإخوانكَ الزَّائد هُو الَّذي حملَك على كلِّ هذَا التَّهجُّم عليهم والطَّعن فيهم، وجعَلك تبذُل قُصَارى جهدِك للتَّنفير منهُم، وتزهيد النَّاس فيهم؛ فمُنذ عودتك مِن حجِّ سنة ١٤٣٨هـ، وأنتَ تعقدُ المجالسَ تلو المجالس للشَّباب في حيِّك بباب الوادي وفي غيرِه، لتُحدِّثهم عن مثالب وعيُوب إخوانٍ لكَ شابَت لحاهُم في الدَّعوة إلى الله، وصَحبْتَهُم واجتَمعتَ بهم بدار الفَضيلة لمدَّة اثني عشر سَنة لا لأجل غنائم تُقسَم، أو تجارة تُدار، وإنَّما هي الدَّعوة والتَّعليم ونشْر التَّوحيد والسُّنَّة في الأمَّة، ورافقتَهُم في أحد أعظَم إنجازَات هذَا الاجتماع وهُو مجلَّة الإصلاح؛ الَّتي صرتَ تقولُ عنها: «الإصلاحُ تحتاجُ إلى إصلاح»؛ وهل إصلاحُها يكونُ بهذه الطَّريقة؟ يقُول الشَّيخ صالح الفَوزان ـ حفظَه الله ـ في «الفرق بين النَّصيحة والتَّجريح» (ص١٨): «الَّذي يُريد الإصلاح لا يُشهِّر بإخوانه إذا أخطَؤوا، ولا يجرِّحُهم وينتقصُهم».

وهل أفصحتَ أنتَ ـ يا شيخ جمعَة ـ عن كلِّ ما دَار في جلستِك مع عبد المالك رمضَاني في بيته بالمدينة النَّبويَّة قبل سنواتٍ، والَّتي لم يكُن يعلَمُ بها جميعُ المشايخ، وكنتَ قد اتَّصلتَ عليَّ قبلَ ذهابكَ إليه لتُعلمَني بذلكَ؟

وهل أفصحتَ عن تفاصيل جلسَتك الَّتي عقدتَها مع «عبد الغَني يخلف» ودامت وقتًا طويلا؟ وهل حدَّثتَ المشايخ عمَّا جرى فيها، وهل سمعُوا بها أصلا إلَّا بعدَ مدَّة؟

وهل أفصحتَ عن فحوى الجلسَة الَّتي عقدتَها مع «بو بكر صدِّيقي» بدار الفَضيلة، ودعوتَ إليها الشَّيخَ فركوس وحدَه، ولم يعلَم بها الباقُون؟

مع أنَّ «صدِّيقي» هذَا هُو مَن استضافَ عبد المالك ببجاية، وقَد ألمح إليه في صوتيَّته، وقَال عنه: «إنَّه صاحب جهُود في الدَّعوة إلى الله ببجاية»؛ فهل يجوزُ لك يا شيخ جمعَة ما لا يجوزُ لغَيرك !!

مع كلِّ هذا لم يُطالبك أحدٌ من المشايخ بضرورَة الإفصاح عمَّا دار في تلك الجلسَات، ولا تقديم تقارير عَن محتواها؛ ولم يخطُر ببال أحدٍ أن يصفَ هذه الجلسَات بأنَّها سرِّيَّةٌ، أو أنَّ فيها مؤامرةً؛ مع أنَّ الجلسَة الأخيرة معنيٌّ بها الشَّيخ عبد الغَني عوسات كثيرًا؛ وما ذاكَ إلَّا لحُسن ظنِّهم بكَ وسَلامة صُدورهم، فليتَك عاملتَ إخوانَك بمثل ما عاملوكَ به؛ وطرحتَ عنكَ الظُّنون السَّيِّئة والأوهَام الخاطئَة.

ثمَّ لِماذا كلّ هذَا التَّهويل والتَّشنيع على إخوانك، وكأنَّهم ارتكبُوا جريمةً لا تُغتَفر !؟ فهَبْ أنَّهم جلسُوا هذه الجلسَة دونَ أن تعلَم بها أنتَ، أو الشَّيخ أزهَر؛ فكانَ ماذَا !؟

أم إنَّهم في ظنِّك أصحاب عقُول قاصرةٍ، وفهوم ضعيفةٍ يحتاجُون إلى وصاية ومُرافقَة، فلا تطمئنُّ إلى أن تترُكَهم وحدَهم حتَّى لا يُغرَّر بهم أو يُلبَّس عليهم !!

ثمَّ كأنِّي بكَ صرتَ مُصدِّقًا لعَبد المالك في كلِّ ما يقُول؛ بعد أن عهدنَاك تُكذِّبه مرارًا لما بلغَك أنَّه يقُول عنكَ، لمَّا اجتَمع بكَ أنَّه «وضعَك في زاوية ولم تستَطع أن تتكَلَّم بكلمة»؛ فكيفَ الآن تحوَّل عندَك إلى صادقٍ مصَدَّق في كلِّ ما يقُول، أم إنَّه الكَيْل بمكيَالَيْن !! صادقٌ فيما يقُوله عنَّا، وكاذبٌ فيما يقولُه عنكَ؛ ولهذا رُحتَ تقُول: «**يخرج عبد المالك عن صمته في تسجيلين صوتيتين، يكشف فيهما عن بعض ما دار في لقائه بهم؛ فنفى ما نُسب إليه من تلك الكلمة المقولة، وأماط اللثام عن فحوى اللقاء، ويخلص في النقاط التالية:**

١ـ أنّ لقاءه بهم لم يكن من أجل تراجعه، بل لم تطرح أصلا في اللقاء».

إذا لم يكُن لأجل تَراجُعه، وعودتِه إلى ما كانَ عليه مِن قبل؛ فلأجل ماذَا نلتَقيه إذَن !!

وقَد ذَكر في صوتيَّته أنَّهم طالبُوني بمُراجعَة الشَّيخ ربيع والذَّهاب إليه، وهذا حقٌّ؛ لأنَّ في تصوُّرنا هُنا مربَط الفَرس ـ كما يُقال ـ، طالبٌ نشَأ في صُحبَة شيخِه وعُرفَ به واشتَهر ثمَّ خالفَه وأبدَى المخالفَة، بل أراد المصادمَة؛ مع أنَّ الصَّوابَ والحقَّ مع شيخِه؛ أليسَ منَ الحكمَة والعَقل أن يُدلَّ هذا التِّلميذُ ويُنصَح أن يرجعَ إلى شيخِه ويُراجعَه ليعُود معَه كما كانَ مِن قبلُ وتصلُح حالُه؛ لأنَّه منَ النُّكوص والعُقوق أن يتنكَّر المرءُ لآبائه، سواء كانُوا منَ النَّسَب أم منَ العلم.

ـ قوله: «**٢ـ أنّ لقاءه بهم كان من أجل الدِّفاع عن المظلومين ـ حسب تعبيره ـ المتكلَّم فيهم؛ كابن حنفية، وغيره**».

نعَم دافَع هُو عمَّن رآهُم مظلُومين ـ في نظرِه ـ مِن طرفِنا، وهُم بعضُ الطَّلبة المتخَرِّجين من الجامعَة الإسلاميَّة وغيرِهِم، وبيَّنا له وجهةَ نظرنَا بأنَّهم ظلَمُوا أنفسَهُم بسُوء تصرُّفاتِهم وليسُوا بمظلُومين، وأنَّهم حادُوا عن المنهَج السَّلفي في دعوتِهم وخطابِهم.

ـ قوله: «**٣ـ تصريحه بأنَّ بعضَهم وافقَه على ذلكَ (فمَن يا ترى؟)**»

ونحنُ بدورنا نقُول: مَن وافقَه ؟ وعلى ماذا وافقَه ؟ إن كانَت الموافقَةُ على كلمة حقٍّ نطقَ بها، فلا مانعَ أن يُوافَقَ عليهَا؛ أمَّا غير ذلكَ، فلا أذكُر أنَّنا سكتنَا على باطل أو أمر مُنكَر ..

ـ قوله: «**٤ـ تصريحُه بأنَّ بعضَهم طلبَ منه المسامحة (فمَن يا ترى؟)**»

ونحن نقُول معَك: مَن هذَا يا تُرى؟! طلبَ المسَامحة ولم نسمَعْه نحنُ الحضُور !!

ـ قوله: «**٥ـ أنَّ اللِّقاء دار ـ أيضًا ـ حول الشَّيخ لزهَر**»

أمَّا هذه فَلا أدري مِن أينَ جاءت؟ قَد يكونُ جاء ذكر الشَّيخ أزهَر عرَضًا، لكن أن يدُور اللِّقاءُ حولَه، فسُبحانكَ هذَا بُهتانٌ عظيمٌ !!

ـ قوله: «**٦ـ تصريحه بأنهم جلسوا معه كالمتظلِّمين**»

هذه غريبةٌ أخرى؛ كيف صدَّقها الشَّيخُ جمعة!؟ وهل نجلسُ معَه كالمتظلِّمين ونحنُ نُنكر عليه ونُناقشُه في غالب ما يوردُه ويذكُره من تصوُّراته الجديدة مِن مثلِ أنَّ أيَّ شخص يدعُو إلى العَقيدة

الصَّحيحة يُسكَتُ عنه ولا يُحذَّر منه ولو كانَ في منهجه انحرافٌ، ومثل أنَّنا على منهج الغُلاة ونحو ذلك؛ وكنَّا نُعيدُ تذكيرَه بالمنهَج الَّذي كانَ عليه يدعُو إليه، ويذُبُّ عنه، وأنَّه كانَ على الجادَّة يومَ كانَ بصُحبَة ورُفقة مَن كانَ يقُول عنه: «شيخي العَلَّامَة ربيع بن هادي المدخَلي» ..؛ فهل هذَا خطابُ مَن جلَس جلسَةَ المتظلِّم!؟

فعَلى كلِّ حالٍ نحنُ ما جلسْنَا مع الرَّجل إلَّا رجاءَ نصحِه ـ كما كانَ مسطَّرًا في الرِّسالة الَّتي وُجِّهت إليه مِن قبلُ ـ، وحاولنَا تذكيرَه بماضيه لعلَّه ينتَفع بكلمَة منَّا تكونُ سببًا في رجُوعه إلى ما كانَ عليه، وقَد حرصنَا على لزُوم الأدب والتَّلطُّف في العبارَة حتَّى لا نخرُجَ عَن حدِّ ما شرع الله في كتابه في قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾؛ فإنْ فهِمَ هذا الأسلوبَ في الخطاب تظلُّمًا؛ فهذا شأنُه.

أمَّا نحنُ فقَد خرجنا من هذَا اللِّقاء بقناعَة تامَّة على أنَّ الرَّجُل مصِرٌّ على ما هُو عليه، ماضٍ فيما هُو فيه، وليس له أيُّ استعدَاد للعَودة إلى ما كانَ علَيْه سابقًا من صحَّة المنهَج، وسلامَة التَّصوُّر، والله الهادي إلى سَواء السَّبيل.

وما يحزُّ في النَّفس كثيرًا أنَّ الشَّيخ جمعَة يتعامَل مع كلام عبدِ المالك بوجهَيْن مختلفيْن، فهو يكذِّبُه فيما يحدِّثُ به عنه، لكن يصدِّقُه فيما يُخبر به عنَّا إلى درجة اليَقين، ويبني على ذلكَ أحكامَه، وهذا تحكُّمٌ غير لائق بمَن ينتَسبُ إلى العِلم؛ لهذا تراهُ أباحَ لنفسه أن يُصرَّ على ترويج خبرٍ ينقُله عن عبد المالك رمضَاني مفادُه: «أنَّ عثمان وتوفيق كلَّما جاءا إلى المدينة النَّبويَّة يجريان ورائي حرصًا على لقَائي حتَّى حفيَت أقدامُهما، وأنا مُعرضٌ عنهُما لا أستَقبلهما»!!، ولَمَّا أنكرنا هذا الخبر جملةً وتفصيلًا بحَضرة جميع المشايخ وأقسمتُ له أنَّه كذبٌ صريحٌ، وطالبنَاه بسَنده فيه، قال: «هكذَا يتحدَّثون في المدينَة!!» ثمَّ مع المحاققَة معَه خرجَ علينَا بشيءٍ ما كان يُتوقَّعُ منه أبدًا، حيثُ فاجأني بقوله: «أنتَ أخبرتَني بذلكَ!!»؛ فما قرعَت هذه الكلمَةُ سمْعي حتَّى أُسقِط في يدي وأدهشَني هذا التَّقوُّل منه؛ وما كدتُ أن أصدِّقَ ما أرى وأسمَع؛ فأدركتُ أنَّ الرَّجل مُلصِقٌ بنا التُّهمةَ لا محالةَ ولو نفينَاها عن أنفُسنا بأغلظ الأيمان؛ وأنَّه لن يتنَازل عن ترويج الخَبر ونشرِه بينَ النَّاس، وهذا لغايةٍ في نفسِه هو يعلمُها؛ فاللَّهمَّ رُحماك ..

ـ قوله: «**حينها سارعوا إلى كتابة بيان، جوابًا عمّا أثاره عبد الملك في تلك الصوتيتين**».

نعم؛ وهذَا أمرٌ معقُول المعنَى لا يُعاب صاحبُه، ولا يُلامُ فاعلُه، وهو أن يُسارعَ المرءُ إلى بيان وتوضيحِ ما ينبغي بيانُه بخاصَّة إذا دعَت الحاجة وقَام المقتَضي مِن إلقَاء شُبهة أو ورود مغالطَة أو نحوه؛ فبعد الصَّوتية الأُولى لعَبد المالك، أجاب الشَّيخ عزُّ الدِّين بجواب صوتيٍّ عن بعضِ ما حاوَل عبدُ المالك نفيَه وتحويرَه.

ثمَّ بعدَها حاوَل عبد المالك في صوتيَّة ثانية مطوَّلَة أن ينفيَ عَن نفسِه ما تلفَّظ به منَ الكلمتَين الجارحتَيْن، فأعقَبه الشَّيخ عزُّ الدِّين بكتَابة بيان بعُنوان «كلمة إلى إخواني السَّلفيِّين في الجزائر»؛ هذا البيَان الَّذي فرحَ به السَّلفيُّون كثيرًا، وسُرَّ به الفُضلاء، وارتضاهُ العلماءُ؛ فقَد قُرئ على الشَّيخ عبد الله البُخاري ـ حفظه الله ـ فلم يُنكر منه شيئًا، وقُرئ على الشَّيخ محمَّد بن عُمر بازمُول ـ حفظه الله ـ، فقَال: «البيانُ جيِّدٌ ونافعٌ»، وقُرئ على الشَّيخ عبدِ الرَّحمن محيي الدِّين ـ حفظه الله ـ فأَعجبَه، وقال: «جيِّد»، وقُرئ على الشَّيخ عُبيد الجابري ـ حفظه الله ـ فأعجبَه وقال عنه: «أثلجَ صدري، وأعجبَني لما تضمَّنَه من نصيحةٍ قيِّمةٍ، وإنِّي أُؤيِّدُه، وأسألُ الله له السَّدادَ في الأقوال والأعمال»، وأمَّا الشَّيخ ربيع المدخلي ـ حفظه الله ـ قُرئ عليه البيانُ، وسُئل عن الفقرتَيْن اللَّتيْن فُهم منهُما الطَّعن المزعوم؛ فقَال: «الشَّيخ عزُّ الدِّين يقصدُ المندسِّين».

إلَّا أنَّ الشَّيخ جمعة ـ وفَّقه الله ـ أصرَّ وما يزال يُصرُّ على أنَّ هذَا البيان لا يصلُح أبدًا؛ ولا حولَ ولا قوَّة إلَّا بالله !!

ـ قوله: «**أنّه تبرئة للساحة**»

نعَم يكتُب المرءُ بيانًا لإبراءِ ساحتِه ودفْع التُّهمَة عن نفسِه، فأينَ الخلَل في هذَا !؟

ـ قوله: «**وأنّه لم يُجَب فيه عمَّا أثاره عبد المالك، إلا ما نسب إليه من تلك المقولة**».

ذلكَ لأنَّ تلكَ المقولة هيَ مِن أشدِّ ما يُدان به عبدُ المالك، ولأنَّه ليسَ كلُّ ما أثارَه من مسائل لها تعلُّقٌ بتلك الجلسَة، فلذا لم يكُن منَ الصَّواب الدُّخول معَه في مهاتَرات كلاميَّة لا نهايةَ لها ولا طائلَ تحتَها، وإنَّما كانَ القَصد منَ البيَان ـ في تصوُّري ـ هو لفتُ النَّظر إلى أنَّ نعمةَ اجتماعِنا كانَت مهدَّدةً بالتَّفكُّك والانشطَار، وأنَّ الخلافَ المثارَ مبنيٌّ على الظُّنون والأوهام والتَّخرُّصات، والأخطاء ـ إن وُجدَت ـ فلا ترقَى إلى الطَّعن في سلفيَّة أصحابها؛ وتضمَّن صراحةً أنَّ مشايخ الإصلاح على منهج

واحد، وتبرُّؤًا واضحًا من طريقَة الحلبي ومنهج عبد المالك؛ كما نبَّه إلى وجوب أخذِ الحيْطَة منَ المندسِّين والمتربِّصين الَّذين يسْعَون لإفساد رابطة هذَا الاجتماع والائتلاف، فكانَ نداءً صادقًا يخرجُ مِن صَميم قلبٍ متَوجِّعٍ لما آلَت إليه الأمور، يُخاطبُ الضَّمائر والقُلوب لتنهضَ لمهمَّة لمِّ الشَّمل، ورأْب الصَّدْع، وإعادة الأمُور إلى ما كانَت عليه، وتضمَّن دعوةً صريحةً إلى الصُّلح ومعَالجة الأخطاء عن طَريق المناصحَة والمحاوَرة.

وإنِّي أعجبُ كيفَ غابت كلُّ هذه المعَاني عن ناظرَيْك، ورُحتَ تُفتِّش بينَ السُّطور، وتُخرجُ منهُ العُيوب الَّتي لم يرهَا ولم يفهَمها أحدٌ قرأَ البيانَ قراءةً مجرَّدةً عن الخلفيَّات، والأفكار المسبقَة، ففهمتَ الثَّناء الَّذي تضمَّنه البيانُ أنَّه تزكيةٌ للشَّيخ رضَا بوشامة وحدَه، والذَّمُّ الَّذي جاء فيه حملتَه على أنَّه طعنٌ في السَّلفيِّين !!.

ـ قوله: «**وأنّه تضمّن تزكية لرضا، والدفاع عنه ـ وإن لم يذكر اسمه ـ؛ ووصفه بأنّه: «له سبق، وفضل، وجهاد»، وبأنَّه من أفاضل الدُّعاة السلفيِّين، ومن أهل الفضل والعلم**»

فلا أدري كيفَ حملتَه على الشَّيخ رضا !!

ثمَّ حتَّى وإن قُصد به هُو، فما المانعُ !؟ فالرَّجل منذُ عودته مِن رحلته العلميَّة من المدينَة النَّبويَّة سنة ١٤٢٧هـ وهو في نشاطٍ علميٍّ دعويٍّ يدعو إلى السَّلفيَّة سواء في الجامعَة محلِّ عملِه، أو في المسجد يوم رُخِّص له في الخطابة والتَّدريس، أو في الدَّورات العلميَّة المقامَة في مختَلف الولايات، أو في الكتابة والتَّصنيف إضافةً إلى عمله في التَّحرير في مجلَّة الإصلاح؛ ألا يستَحقُّ أن يُقال في مثلِه: «إنَّه مِن أفاضل الدُّعاة السَّلفيِّين، ومِن أهل الفَضل والعلم !!»، وإن كانَ لا ينفكُّ عن الأخطاء والذُّنوب كما هو حال كلِّ البَشر، لكنَّني أجزمُ أنَّه سلفيٌّ، رجَّاعٌ إلى الحقِّ إذا بُيِّن له، أحسبُه كذلك والله حسيبُه ولا أزكِّي على الله أحدًا.

ـ قوله: «**أنَّه تضمّن طعونًا في بعض السلفيّين، بشتى الألفاظ، وهي على التالي**»

ثمَّ راح يعدِّدُها واحدةً تلو الأخرى مرقَّمةً:

١ـ سعوا بالنميمة

٢ـ والغيبة

٣ـ والوشاية المغرضة

٤ـ والإساءة المقصودة

٥ـ والظنون السيّئة

٦ـ ونقل ما لم يثبت من الأخبار

٧ـ والتطاول على بعض أفاضل الدعاة السلفيين

٨ـ وإيغار الصدور

٩ـ تشوّفا منهم إلى طعن

١٠ـ وتجريح

١١ـ وبعضهم ـ يعلم الله ـ لا يعرف عنه الاشتغال بالعلم

١٢ـ ولا السعي في الصلح والإصلاح

١٣ـ ولا احترام لأهل الفضل والعلم

إلى هُنا قَد يُفهَم ما أردتَه؛ وحسبتَه طعنًا في السَّلفيِّين، لكن بعد هذه الجملة لم يقصِد بها الشَّيخ عزُّ الدِّين هؤلاءِ الشَّباب، وإنَّما المقصُود بهم أقوامًا آخرين، حيثُ قال:

١٤ـ لا أستبعد أن يتولّى هذا الفساد في تفريق كلمة السلفيين أناس هم خارج دائرتنا

١٥ـ لا يؤمنون بمنهجنا

١٦ـ لا يحبّون أن نبقى على اجتماع وخير، وهم كثر في زماننا هذا، والله المستعان.

ثمَّ الأوصاف الباقية وردَت في كلمَة الشَّيخ عبد الله البُخاري؛ فكيفَ يتحمَّلُها صاحبُ البيَان، إلَّا إن قصَدَ الشَّيخ جمعَة مؤاخذَةَ الشَّيخ البُخاري ـ أيضًا ـ على طعنِه في السَّلفيِّين!!

١٧ـ المندسّون

١٨ـ النمّامون

١٩ـ الفتّانون

٢٠ـ المجرمون

٢١ـ أصحاب القلاقل والفتن

هذه كلُّها فهمَها الشَّيخ جمعَة وحدَه على أنَّها طعنٌ في السَّلفيِّين، والحقيقةُ أنَّ الشَّيخ عزَّ الدِّين لم يقصد بها سوى المندسِّين؛ كما فهمَ ذلكَ عمُوم السَّلفيِّين، وعلى رأسِهم الشَّيخ العلَّامة ربيع المدخَلي ـ حفظه الله ـ.

ـ ثمَّ قال: «**إنّ الخلاف الذي حصل في دار الفضيلة لم يك من أجل هذا البيان، وكذا لم يك خلافًا شخصيًّا، إذ لم ننازعهم في ملك، ولم نختلف معهم على منصب، ولم ننافسهم على غنيمة، ولم نثأر لدمٍ أو مال؛ بل كان الخلاف منهجيًّا بحتا، وكان هو وراء انسحابنا من الدار**».

أمَّا هذه يا شيخ جمعَة ـ على الودِّ الَّذي بيننَا ـ فقَد رميتَنا بعظيمَة منَ العظائم ليسَ منَ السَّهل تجاوزُها، ولن نسكُتَ عنهَا حتَّى تُبيِّنَ لنا مسائلَ هذَا الخلاف المنهَجيِّ البَحت ودلائلَه، لنقفَ على حقيقَتها لنُعالجَها ونُصلحَها، فنحنُ ـ بحَمد الله ـ سلفيُّون، والسَّلفيُّ لا يُخيفُه العلم أبدًا، ولا يخجَل من رجوعِه عن خطئِه أبدًا؛ وإنَّه ما ضلَّ مَن ضلَّ إلَّا بسَبَب الاستكبار والعِناد؛ وأنتَ تعلم أنَّنا خرجنَا مِن آخِر اجتماع لنَا بدَار الفَضيلة بتاريخ (١١/ ١٠/ ١٤٣٨هـ الموافق لـ ٥/ ٧/ ٢٠١٧م) على أمل الاجتماع مرَّةً أخرى بعد خمسة عشر يومًا، وها قد مرَّت سبعَة أشهُر ووقعَ فيها ما وقَع، ولم يتيَّسر اللِّقاء؛ وإنَّني أؤكِّد لكَ على أنَّنا ما زلنا نُصرُّ على ضَرورة عقْد هذَا الاجتماع ـ كما هُو موقفُنا من أوَّل يوم ـ، لنسمَع منكُم المسائل المنهجيَّة البحتَة الَّتي تؤاخذُون عليها إخوانكم ودلائلَكُم فيها، فيسمعُوا النُّصحَ مِن أفواهكم، لا أن يصلَهُم الطَّعنُ والغمزُ واللَّمزُ عن طريق رسَائل الهواتف ووسَائل التَّواصل الاجتماعي (كتابةً وصوتًا).

فالسَّلفيَّة ـ يا شيخ جمعَة ـ دعوةُ العلم والحجَّة والبيَان، وهي توارُثُ الشَّجاعةَ على مقابلَة المخالِف المُعارِض ومناظرتِه، فكيفَ بالمُوافق المؤالِف عند مُناصحتِه لا مُناظرتِه؛ فأرجو أن يقعَ هذا الكلامُ منكَ موقعًا حسنًا وتستَجيبَ لدعوة إخوانكَ وتجتمعَ بهم، ليصلُحَ الحالُ ويحسُن المآلُ، ويُكتَب لك الأجرُ والثَّواب، والله يعفُو عمَّا سلَف وفات، وتكونَ سببًا في انزواء الفتنَة، وعودةِ الهدُوء والسَّكينَة.

هذا ما أردتُ التَّنبيه عليه حولَ بعض ملابسات هذه الجلسَة الَّتي مضى عليها قُرابة ثلاث سنوات، وقَد تناقشنَا حولها مرارًا، ودار الحديثُ عنها في مجالسنَا مع المشايخ الفُضَلاء في مناسبَات مختلفَة، وواصلنَا العمَلَ سويًّا وأصدرنَا بعدَها بيانات مشتَركة نافعَة، والقضيَّةُ حُسم أمرُها وأضحَت شيئًا من

الماضي، فلا أحَدَ يُحيلُ على عبد المالك أو ينصَحُ به، ولم يعُد يُطبَع له شيءٌ بدار الفَضيلة، ولم يُنشَر له مقالٌ في مجلَّة الإصلاح منذُ آخر مرَّةٍ نُشر له في العدد ٢٨ سنة (١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م)؛ فلمَاذا يصرُّ أخُونا الشَّيخ جمعَة ـ وفَّقه الله ـ على إلصَاق التُّهمة بإخوانه بأنَّهم على علاقة وصلةٍ به وأنَّهم يزورُونه ويلتقُونه ...، ويروِّج ذلكَ وينشرُه بينَ النَّاس بقَصْد الطَّعن والتَّجريح لهم؛ معتمدًا على حُجَج واهية، وروايات ملفَّقة مبنيَّة على الظَّنِّ والتَّخمين؛ ووالله الَّذي لا إلهَ إلَّا هُو إنَّ حديثَه هذَا مِن نسج الخيَال ولا حقيقةَ له في الواقع، فأرجُو أن يتَّقي الله في إخوانه، ويُمسكَ لسانَه عنهُم، ويستَغفر عمَّا بدَر منه نحوَهم، ويستَحلَّ منهُم، ولا يُصرَّ على هذَا المسلَك فإنَّه غيرُ سويٍّ.

وفي الأخير؛ إنِّي أدعُوك يا شيخ عبد المجيد إلى أن تُعيد سماعَ صوتيَّات العُلماء الَّتي وُجِّهَت إلينَا جميعًا، وتُصغي إليها وتُعيد قراءةَ ما جاءَ فيها من نصَائح غالية، وتوجيهَات سامية، وبخاصَّة صوتيَّة الشَّيخ ربيع ـ حفظَه الله ـ، ومثلُكَ لا يخفَى عليه علمُ الشَّيخ ومقامُه، وأنَّه لا يصدُر في كلامه إلَّا عَن علم ورويَّة، وقَد أَخبَرني مَن قُلتَ لهم: «لَمَّا سمعتُ صوتيَّة الشَّيخ ربيع تزَلزَلَ قلبي»؛ إلَّا أنَّك ـ وللأسَف الشَّديد ـ مضيتَ فيما عزمتَ عليه، منَ تشويه سُمعَة إخوانكَ الدُّعاة، بهتْكِ سِتْرهم، والطَّعنِ فيهم، وإهانتِهم والحطِّ مِن أقدارهِم، ثمَّ لم تستَثن ـ أيضًا ـ مَن أرادَ أن يذبَّ عن أعراضِهم من طلَبة العِلم الأخيَار، وهُو ما أحدَث تفرُّقًا وتحزُّبًا وتشتُّتًا وحيْرَةً في أوساط السَّلفيِّين؛ فلا أدري كيفَ سمحَتْ نفسُك بذلكَ !! وأنتَ الَّذي تدعُو إلى احترام العُلماء وتوقيرهِم، وعدَم التَّقدُّم بينَ أيديهم أو الافتئاتِ عليهم، أم إنَّك صرتَ تفرحُ بكلام الشَّيخ ربيع إذا وافقَ ما أنتَ عليه، وتضربُ عنه صفحًا إذَا كانَت الأخرى !!.

فانتَبه يا شيخ جمعَة ـ وفَّقك الله ـ لهذَا الخلل الخطير في التَّعامل مع كلام العُلماء الأكابر، وما قَد يخلِّفُه مِن آثار سيِّئة في المستقبَل عليكَ وعلى المتعلِّمين منكَ.

ثمَّ أنتَ تعلَمُ ـ أيضًا ـ أنَّ رأيَ العالم خيرٌ لنَا مِن رأينَا لأنفُسنا، وامتثالَ نُصحِه يُساوي الخيرَ والنَّجاحَ والفلاحَ، فكانَ على الجميع ألَّا يتأخَّر في الاستجَابة لهذه النَّصيحة الَّتي تقطُر علمًا ورحمةً وشفقةً مِن حامل راية الجرح والتَّعديل في هذَا العَصر، وهي قولُه ـ حفظَه الله ورعاه ـ:

«وأُحذِّرهُم منَ النِّزاع والخلاف الَّذي يؤدِّي إلى تشويه الدَّعوة السَّلفيَّة، وآمرُهُم وأنصحُهم بالصَّبر والحكمَة والتَّعاطُف والتَّراحُم والتَّناصُح، ومَن أخطأَ يُنصَح بالحكمَة والموعظة الحسَنة ولا يُشهَّرُ به، هكذَا فليكُن السَّلفيُّون.

وأُؤكِّدُ نصيحَتي هذه بتقوى الله عزَّوجلَّ لكلِّ الإخوان السَّلفيِّين خاصَّةً في الجزائر أن يتعاطفُوا، وأن يتآخَوا، وأن يتَلاحمُوا، وأن يكونُوا كالجَسَد الواحد، إذَا اشتكى منه عضوٌ تداعَى له سائر الجسَد بالسَّهر والحمَّى؛ بارك الله فيكم.

ومَن يُخطئ يُنصَح بالحكمَة والموعظَة الحسَنَة، ولا يُشوَّه ولا يُسقَط كَما قَد يستَعجِل بعضُ الإخوان في هذه الأمُور، وإيَّاكُم والعَجَلةَ ومحاولةَ الإسقَاط».

فلنأخُذ بنَصيحة هؤُلاء الأعلام الأكابر المشفِقين، ولنشرَح صدُورَنا لقَبولها والعَمل بها، ولا يُثنينا عن ذلكَ تأويلٌ ولا إعجابٌ برأيٍ، نسألُ الله الكريم أن يوفِّقنا جميعًا لقَول الحقِّ، والعَمل بالحقِّ، والرُّجوع إلى الحقِّ، وأن يجمعَ قُلوبَنا على الحقِّ المبين، وأن يُجنبَّنا الفتَن ما ظهَر منها وما بطَن.

والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّه وآله وصحبه أجمعين.

كتبه: توفيق عمروني

يوم الإثنين ٢٠ جمادى الأولى ١٤٣٩هـ/ ٥ فبراير ٢٠١٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

مكة ـ ليلة 25 رمضان 1432
25 أوت 2011م

إلى فضيلة الشيخ عبد المالك رمضاني، سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أمَّا بعد؛ فإنَّ إخوانك دعاة الإصلاح قد حرصوا أشدّ الحرص قبل مجيئهم إلى العمرة، وبعد إقامتهم بالمدينة النَّبويَّة ومكَّة على الالتقاء بكم وعقد جلسة أخويَّة مع فضيلتكم، قصد التَّعرُّف عن كثب على الأسباب والدَّوافع التي أدَّت إلى تحولكم عن المنهج الذي عرفناه عنكم وعهدناكم منكم من الحزم والشِّدَّة في الرَّدِّ على المخالف ونقد الرِّجال وعدم التَّساهل في تزكية الأشخاص، بل تزكية من سبق أن تكلَّمتم فيه وحذَّرتم منه، وتتبع دقائق المنهج والحفاظ على المسار الصَّحيح الذي وسمت به هذه الدَّعوة المباركة.

ولما بلغ إخوانك الدُّعاة نبأ هذه التحذيرات من هذا التَّحول الملحوظ وحرصًا منهم على التَّواصل معكم والمحافظة عليكم وعلى جهودكم وإبقاء لحبل الودِّ والإخاء الذي جمعهم بكم منذ عهد طويل وحذرًا من أيِّ مكروه يمسُّ هذه الدَّعوة في بلدنا خاصَّة جاءت دعوتنا لكم يحدوها أمل في إصلاح ما يمكن إصلاحه وتدارك ما عسى أن يتدارك قبل فوات الأوان، سالكين فيها مسلك النُّصح الصَّادق والتَّوجيه الرَّشيد والرَّغبة في الاستماع إليكم والشَّفقة عليكم، إلا أنَّه ـ وللأسف شديد ـ لم يجدوا منكم الحرص والاستعداد للجلوس إليهم والرَّغبة في اللِّقاء بهم، ولم تقنعهم اعتذاراتك المتكرِّرة ممَّا هيَّج قلقًا في نفوسهم إزاء تصرُّفكم هذا.

وهم مع هذا كلِّه لم يؤصدوا الأبواب في وجهكم ولم يضيِّقوا الواسع عليكم، ويدعونكم مرَّة أخرى إن رغبتم في المجيء إلى الجزائر للالتقاء بهم مع تحمُّلهم جميع تكاليف السَّفر والإقامة.

أعاننا الله وإيَّاك على تقبُّل الحقِّ والرُّجوع إليه والثَّبات عليه، إنَّه خير مسؤول وأكرم مأمول، وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

□ **الموقِّعون:**

الشَّيخ محمَّد علي فركوس	عبد الحكيم دهاس	الشَّيخ عبد المجيد جمعة	الشَّيخ رضا بوشامة
الشَّيخ عزّ الدِّين رمضاني	عبد الخالق ماضي	الشَّيخ توفيق عمروني	الشيخ عمر الحاج
الشيخ عبد الغني عويسات	الشَّيخ نجيب جلواح	الشَّيخ لزهر سنيقره	الشيخ عثمان عيسي

Scanned by CamScanner